Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 5 | No. 2| Page 526 – 548 | 2023 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

في العوامل الخارجية لنشأة علوم اللغة والنحو
عامل المهنة والتكسّب أنموذجاً

External Factors in the Development of Language and Grammar Sciences: With reference to Profession and Monetization

خالد عبد الحليم العبسي
باحث – قسم اللغة العربية
كلية اللغات – جامعة صنعاء– اليمن

Khalid AbduAl-Haleem Al-Absi
Researcher - Department of Arabic Language
Faculty of *languages - Sana'a University - Yemen*

الملخص:

يقف هذا البحث أولا على بيان الفرق بين العوامل الداخلية والعوامل الخارجية لنشأة العلوم، فالنوع الأول ينبع مِن منطق العلم نفسه، والنوع الثاني يكون خارجا عن طبيعة العلم، سواء أكان يعود إلى أسباب ظَرْفية عامّة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها، أم إلى أسباب فردية، أي أفراد العلماء وظروفهم الشخصية، ثم يقف على المهنة الأساسية التي اشتغل بها أصحاب العربية مِن لُغويين ونحاة ثم أعراب رواة، وهي التأديب العام والتأديب الخاص، ويكشف عن وجوه أخرى مِن التكسّب نالها أصحاب العربية بالقرب من أصحاب المراتب، فمن ذلك ارتباط التأليف بأصحاب المراتب؛ إذ كان في العلماء مَن يؤلّف في موضوع معين بطلب منهم، أو يهدي مؤلّفه لهم، أو يُسمّي مؤلّفه بأسمائهم، ثم تأتي أسباب أخرى لنيل العطايا، ومِن ذلك بيان العالم لما أشكل عليهم من اللغة، أو تناظر العلماء بحضرتهم، أو صدور جواب نبيه من العالم، أو حكاية العالم خبرا أعجبهم، أو استجابة العالم لمسامرتهم، وفي الأخير يقف على الآثار السلبية لتكسّب أصحاب العربية بالعلم ولقربهم من أصحاب المراتب، مثل الاختلاق، وتعقيد المؤلفات، والمكابرة في المناظرات، ومن ذلك إعطاء الخلاف بين النحاة صورة غير واقعية بإبرازه ثنائيا بين البصرة والكوفة، ثم إن وجود أصحاب العربية بالقرب مِن السلطة لا يُبعد أنهم كانوا إما مندمجين مع الأيديولوجيا الحاكمة وإما مهادنين لها.

الكلمات المفتاحية: نشأة علوم العربية، نشأة النحو، تكسّب اللغويين والنحاة، التأديب عند علماء العربية.

Abstract:

This research first addresses the difference between internal and external factors in the development of sciences. The first type arises from the logic of the science itself, while the second type is beyond the nature of science, whether it is due to individual reasons, such as scientists themselves, or to general political, social, economic, or other circumstances. Then it focuses on the main profession practiced by Arabic linguists, grammarians, and narrators, which is public and private teaching. It reveals other aspects of the benefits gained by Arabic scholars in their proximity to those in higher positions. For example, the connection between authorship and those in higher positions, as some scholars write on a specific topic upon their request, dedicate their works to them, or title their works after their names. Other reasons for receiving rewards include the scholar's response to a scientific question from them, the presence of scholars in their gatherings, the issuance of a wise response from the scholar, or the narration of a story that amazed them. Lastly, it discusses the negative effects of Arabic scholars' monetizing knowledge and their proximity to those in higher positions, such as fabrication, complexity of works, arrogance in debates, and presenting a unrealistic image of grammatical differences by highlighting the dichotomy of Al-Basra and Al-Kufa. Furthermore, the presence of Arabic scholars near positions of power does not rule out that they were either integrated with the ruling ideology or submissive to it.

Keywords: the emergence of Arabic sciences, the emergence of grammar, teaching among Arabic scholars, the development of linguists and grammarians.

المقدمة:

إن بناء المعرفة عملية اجتماعية، وهذا معناه أنّ المعرفة لا تتشكّل إلا في سياق اجتماعي، فالعلم ظاهرة اجتماعية، والعلماء أفراد في المجتمع، وليس العلم مجموعة من الحقائق المحايدة وحسب، مثلما أن العلماء ليسوا أفرادا متعالين عن المؤثرات الاجتماعية،

بل العلم نتاج للقوى الاجتماعية، والعلماء متأثّرون بكل ذلك، ومما يُسهم في فهم طبيعة أي علم معرفة السياق الاجتماعي والثقافي الذي تخلّق فيه ذلك العلم. وقد رأت النظرة التقليدية القديمة أن العلم حقائق مجرّدة تتسامى عن مؤثراتها الاجتماعية، لكن الفكر الحديث يرى أنه لا يمكن فصل المعرفة عن مؤثراتها الاجتماعية، بل إن الدراسات الاجتماعية المعاصرة لا تميل إلى تبرئة مضمون المعرفة العلمية من العناصر الاجتماعية[1]، ومنذ ظهور "علم اجتماع المعرفة" لم تعد دراسة ماهية المعرفة ومفاهيمها مسألة فلسفية بحتة بقدر ما أصبحت مسألة اجتماعية، وأدّى ربط المعرفة بالعوامل الاجتماعية إلى بروز "المنبع الاجتماعي للمعرفة" وتراجع "المنبع الفلسفي–العقلي للمعرفة"[2].

فإذا عرفنا ما مضى، فإنّ هناك عوامل داخلية تدعو إلى النظر في العلم، وهي عوامل يكون دافعها الإجابة على أسئلة يثيرها العلم نفسه، أي تُثار من منطق العلم الداخلي، وهناك –في الوقت نفسه– عوامل خارجية، وهذه العوامل الخارجية إما أن تكون ظَرفية تعود إلى ظروف دينية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ونحو ذلك، وإما أن تكون شخصية تعود إلى أفراد العلماء، ولذلك يُرى في تاريخ العلوم أنه "من الأهمية بمكان دراسة سير حياة العلماء وبحث الحوافز الموضوعية التي حفّزت الباحث إلى الاضطلاع بمشكلة بذاتها واعتبارها القضية الرئيسية"[3].

والتفريق بين العوامل الداخلية والعوامل الخارجية في سياق البحث في مجال نشأة المعرفة اللغوية والنحوية غيرُ حاضر –فيما أعلم– عند مَن كتبوا في نشأة النحو من المعاصرين، وكذلك يغيب عند المعاصرين ذكر عامل المهنة والتكسّب عند المشتغلين بالمعرفة اللغوية والنحوية من بين جملة العوامل التي دفعت لنشأة علوم العربية، ومن جهة أخرى يُعدّ الحديث عن عامل المهنة والتكسّب من تقصّي الوجوه الصغرى المرتبطة بالعوامل الدافعة لنشأة علوم العربية، وذلك نوع من البحث في الظروف المتصلة بنشأة النحو على المستوى المصغّر micro، وهذا يسهم في معرفة نشأة النحو على المستوى المكبّر macro؛ إذ مِن المقرّر في علم اجتماع المعرفة التكاملُ بين المستويين، وإسهامُ كلِّ مستوى منهما في فهم الآخر[4].

والمراد بالعامل هنا أنه سبب في المجتمع يدفعُ إلى دراسة علوم العربية، ومِن الضروري أنّ نعرف هنا أنّ وجود العوامل المختلفة للبحث اللغوي والنحوي لا يستلزم ميلادَ العلم مِن فوره، ولا يقتضي وجودَ ذلك البحث في صورة العلم، وإنما العوامل محرّكات الفكرة، والمعارف تراكمٌ ولا تنشأ في لحظة واحدة، ومعنى هذا أن وجود تلك العوامل المختلفة قد أوجد النظر في أمر اللغة والنحو والمباحثة بين المعتنين بمسائلهما في مجالات معرفية مختلفة، وقد استمر ذلك في تطوّر حتى تحقّقت لذلك النظر صورة العلم، وذلك بإيجاد المنظومة الاصطلاحية؛ إذ لا يمكن التفكير في العلم إلا بمصطلحاته، فالمصطلح لغة العلم، وقد قيل "لا معرفة من دون مصطلح"[5]، وبإيجاد ذلك العلم في قوانين متعالية، أي طبيعته المجردة.

1 - الحاج صالح، الوجه السياسي للعلم (الفصل الرابع: المعرفة العلمية بين العوامل الاجتماعية والبنية المنطقية): 165.
2 - السابق: 167.
3 - يُنظر مثلا: جلال، على طريق توماس كون: 65-66.
4 - يُنظر: غوريفيتش، الأُطر الاجتماعية للمعرفة: ٢٩.
5 - "There is no Knowledge without Terminology" شعار الشبكة العالمية للمصطلحات في فيّنا بالنمسا.

أهداف البحث:

1- بيان المهنة الأساسية التي اشتغل بها علماء العربية والأعراب الرواة، وهي التأديب العام والخاص.

2- الكشف عن وجوه التكسّب التي نالها علماء العربية والأعراب الرواة بالقرب مِن أصحاب المراتب.

3- الوقوف على الآثار السلبية لتكسّب أصحاب العربية بالعلم ولقربهم من أصحاب المراتب.

أهمية البحث:

تتمثّل أهمية البحث في أنه يقف وقوفا مفصلا على عاملٍ من عوامل نشأة علوم اللغة والنحو عند العرب: عاملِ المهنة والتكسّب عند أصحاب العربية مِن العلماء ثم الأعراب الرواة، فأمّا عامل المهنة والتكسّب، فلا يُذكر –فيما أعلم– مِن بين عوامل نشأة تلك العلوم عند الباحثين المعاصرين، وأما الأعراب الرواة، فيُهمل دورهم عادة في سياق الحديث عن نشأة علوم العربية أيضا عند الباحثين المعاصرين، ومن الحقّ أن دورهم يمكن الإشارة إليه في عدد من عوامل نشأة علوم اللغة والنحو، لكنه يظل قليلا إذا ما قورن بدور علماء العربية.

هذا، ولا يُعدّ عامل المهنة والتكسّب –فيما أرى– من العوامل الرئيسة لنشأة المعارف اللغوية والنحوية، غير أن بيان العوامل الكبرى والصغرى لنشأة علوم العربية يمكّننا من فهم ظاهرة نشأة علوم العربية في الحضارة العربية على نحو أشمل وأعمق، ويكشف عن صلاتها الاجتماعية والثقافية بما يجعلها أكثر جلاء لنا، ومن أهمية البحث أيضا أنه يكشف عن الجوانب السلبية لتكسّب علماء العربية بعلمهم وقربهم من أصحاب المراتب.

منهج البحث:

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُبنى على ثلاثة محاور، الأول: اشتغال علماء العربية بمهنة تأديب أولاد العامة وتأديب أولاد الخاصة، الثاني: وجوه مختلفة من تكسّب علماء العربية بالقرب من أصحاب المراتب، الثالث: الآثار السلبية التي ظهرت لتكسّب أصحاب العربية بعلومهم، ولقربهم مِن أصحاب السلطة.

المهنة والتكسّب عند علماء العربية

للعلماء مكانة دينية متفرّدة في الثقافة الإسلامية، ولا شك أنّ ذلك دفع أبناء تلك الثقافة إلى طلب العلم والتزوّد المعرفي، غير أن كلّ منشغلٍ بالعلم طامحٍ في القرب من الله به – فردٌ في المجتمع، وله احتياجاته المعاشية الملحّة والقسرية؛ إذ هو محكوم بالنظام الاقتصادي في مجتمعه، وقد أبان القرآن عن سلامة مراعاة الغرض الدنيوي وعدم معارضته للمقصد الديني، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص:77]، وكان من أدعية النبي (ص) "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي"[6].

ويُراد بعامل المهنة والتكسّب المنافعُ الدنيوية التي كان بوسع صاحب العربية أن ينالها ليستعين بها على معاشه، وعلى رأس ذلك مهنةُ التأديب التي شاعت عند علماء العربية، ثم وجوهٌ مِن تكسّب علماء العربية حقّقوها بالقُرب مِن أصحاب المراتب مِن الولاة والأمراء والخلفاء والوزراء والقادة والأعيان، ولا شك أن تلك

[6] - مسلم، صحيح مسلم: 2087/4.

المنافع كانت من الدوافع عند الأفراد لطلب علوم العربية، وكانت من جملة الأسباب التي كان لها تأثيرها في استمرار إقبال الناس على تعلّم العربية وتحريك علوم اللغة.

أولا: أصحاب العربية ومهنة التأديب

كانت المهنة الأكثر شيوعا بين أصحاب العربية مهنة التأديب (أو التعليم)[7]، والمؤدّبون قسمان: قسم أدّب أولاد العامّة، وقسم أدّب أولاد الخاصّة[8]، ولا شك أن القسم الثاني هم الأوفر حظّا، وقد يكون المؤدّب مؤدّبا عامّا في بداية حياته، ثم يترقّى إلى مؤدّبٍ لأولاد الخلفاء والخاصّة[9]، وكان النحويّ يحصل على أجرة على ذلك، وأخذُ الأجرة على التعليم جائز عند أكثر العلماء[10]، والمؤدّب لأبناء العامة قد يأخذ أجرته من أهالي الطلاب وقد يأخذ أجرته من الدولة[11].

وقد نُقلتْ أخبار في تعليم النحاة بأجرة صراحة، مِن ذلك أن المبرّد كان لا يعلّم مجانا، وكان لا يعلّم بأجرة إلا على قدرها، أي لا يعلم إلا بمقدار الأجرة، بل جاء أنه كان للمبرد صندوق يضع فيه الطلابُ الأجرة[12]، فتعلّم عنده الزجّاج، وكان يعطيه كلّ يوم درهما، حتى برع، وكان المبرد لا يُقرئ أحدا كتاب سيبويه حتى يقرأه على الزجّاج ويصحّح به كتابه[13]، ومن أخبارهما أنه جاءت قبيلة إلى المبرّد يلتمسون معلّما لأولادهم، فسمّى المبرّد لهم الزجاج، فكان يعلّمهم ويرسل للمبرّد في كل شهر ثلاثين درهما، ثم طلب وزير المعتضد عبيد الله بن سليمان إلى المبرد مؤدّبا لابنه، فدلّهم على الزجاج، فاغتنى، وظلّ يعطي المبرد حتى مات[14]، وقد استمر تعليم النحاة بأجرة إلى وقت متأخر[15].

ومما ورد في التأديب العام عند أصحاب العربية أنّ أبا محمد اليزيدي كان معلّما قبالة دار أبي عمرو بن العلاء دهرا[16]، وأن أبا عمرو الشيباني (صاحب كتاب الجيم) كان يؤدّب في أحياء بني شيبان، وقيل إنه نُسب إليهم لذلك، وقيل بالولاء، وقيل بالمجاورة[17]، وأدّب أبو عبيد القاسم بن سلام أولا تأديبا عامّا بمرو[18]، وكان أبو جعفر محمد بن حبيب (روى عن

7 - يرى نالينو أن العرب استعملوا "التأديب" و"التعليم" من دون فرق بينهما، يُنظر: نالينو، تاريخ الآداب العربية: 50، ويرى العايد أنه يحصل في كلام الأقدمين تعاقب بين الكلمتين وتواردهما على معنى واحد...، يُنظر: العايد، المؤدّبون وتجربتهم في تعليم العربية: 89، ويرى العواجي أنهم قد يطلقون أحيانا على الشخص الواحد مرّة المؤدّب ومرّة المعلّم، وأنه ليس من السهل وضع حدّ فاصل بين لفظتي مؤدّب ومعلّم...، يُنظر: العواجي، مؤدّبو أولاد الخلفاء وأثرهم في العصر الأموي: 3، كذا قالا، والنصوص الدالة على ترادف المصطلحين كثيرة، غير أن كليهما عاد بالاستدراك، وذكر أنه يمكن جعل التعليم للعامة والتأديب للخاصة، وقد أورد العواجي بعد ذلك قول عبد الملك بن صالح العباسي والي دمشق لمؤدّب ولده: "إني اتخذتك مؤدبًا بعد أن كنت معلمًا، وجعلتك جليسًا مقربًا بعد أن كنت مع الصبيان مُباعدًا"، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: 26/37، فالراجح أن ترادف "التأديب" و"التعليم" أغلبي، وأنه قد وجدت نصوص -ولو قليلة- تفرّق بينهما على النحو التراتبي المذكور.

8 - يُنظر: الجاحظ، البيان والتبيين: 250/1.

9 - يُنظر: العواجي، مؤدّبو أولاد الخلفاء وأثرهم في العصر الأموي: 3.

10 - ويُستدل على ذلك بأن رجلا مِن الصحابة رقى لديغا وأخذ على ذلك أجرة، فكرِه فعله آخرون، فلما قدموا المدينة سألوا رسول الله، فقال: "إن أحقّ ما أخذتم عليه أجرا كتابُ الله"، البخاري، الجامع المسند: 131/7، وأخذ الأجرة على التعليم مذهب الجمهور، يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 334/1، وقال ابن عاشور: "وحاصل القول فيها أن الجمهور من العلماء أجازوا أخذ الأجر على تعليم القرآن فضلا عن الفقه والعلم"، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 467/1.

11 - يُنظر: ابن سحنون، آداب المعلّمين: 90، العواجي، مؤدّبو أولاد الخلفاء وأثرهم في العصر الأموي: 3.

12 - يُنظر لما سبق: أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 183-184، ياقوت، معجم الأدباء: 45/1.

13 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 110، النديم، الفهرست: 90.

14 - يُنظر: أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 183-184، ياقوت، معجم الأدباء: 52/1.

15 - جاء في ترجمة محمد بن الحسن السيوطي (ت. 808ه) "كان عالما بالعربية، ماهرا فيها، حسن التعليم لها، عارفا بعدة فنون، انتفع به جماعة. وكان يعلم بالأجرة، ويقرئ كل بيت من الألفية بدرهم، وله في ذلك وقائع عجيبة تنبئ عن دناءة شديدة وشحّ مفرط"، يُنظر: السيوطي، بغية الوعاة: 91/1.

16 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 61، أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 69.

17 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 194، النديم، الفهرست: 101، أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 78، ياقوت، معجم الأدباء: 625/2.

18 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 199، وقد نقلَ قولَ الجاحظ في أبي عبيد "وكان مؤدّبا"، ويُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 2199/5، وفيه ما سبق من النقل عن الجاحظ، القفطي، ويُنظر: إنباه الرواة: 15/3، وفيه "كان طاهر بن الحسين حين مضى إلى خراسان نزل بمرو، فطلب رجلا يحدّثه ليلة، فقيل: ما هاهنا إلا رجل مؤدّب، فأدخل عليه

بن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة) –مؤدّبا[19]، وكان أبو الطيب الوشّاء معلّما لمكتب العامة[20]، وكان يعقوب بن السكيت يؤدّب مع أبيه بمدينة السلام في درب القنطرة صبيان العامة في أول الأمر[21]، وكان أبو جعفر الضبي الكوفي يؤدّب صبيان العامة أولا[22]، وكان محمد بن يحيى الرباحي (أخذ عن النحاس) يؤدّب في داره[23].

وقضية التأديب متكرّرة جدّا في سِيَر النحاة واللغويين، حتى وجد في النحاة غير المشهورين مَن ترجمتُه في غاية الاقتضاب، وتكاد تغلب عليه الجهالة في كتب طبقات النحاة، وقد لا يُعرف أحيانا إلا باسم مفرد، وعلى الرغم من تلك الترجمة المقتضبة، يُذكر أنه كان يشتغل بالتأديب. ومن أمثلة ذلك: "المدني: هو أحمد بن محمد، من أهل تونس، وكان عروضيًّا نحويًّا يؤدّب الصبيان ويثقّفهم على حدود العربية، وكانت له أشعار حسان"[24]، "الأحدب: هو أبو الغَمْر عبد الواحد بن سلام، وكان من أهل العلم بالنحو والتأديب، وتوفي سنة تسع ومئتين"[25]، "محمد بن إسماعيل: كان بصيرًا باللغة والشعر، وكان يؤدّب بمسجد متْعَة"[26]، ومن التراجم التي لم يُعرف صاحبها إلا باسم مفرد: "مذحج المؤدّب: كان من ذوي العلم بالشعر، وكان ذا حظ صالح من العربية، وكان يقرض الشعر"[27]، "طاهر: كان بصيرًا بالنحو والشعر والعروض، وكان يؤدّب بني هاشم وبني حُدَير"[28]، "عبد الصمد: كان مِن أهل التأديب بالعربية، وكان ذا حظّ من اللغة"[29]، ونلحظ في جميع التراجم السابقة أنه لم يُذكر للمترجَم له ما يبيّن مكانته العلمية، فلم يذكر له مؤلّف، ولم يُذكر شيوخه الذين أخذ عنهم ولا تلاميذه الآخذين عنه، ولم يُورد خبر له يدلّ على مكانته العلمية أو ثناء لمن عاصره على علمه، فكأن المسوّغ الأساس لإيراد المترجَم له بين النحاة –في كل الأمثلة أو جلّها– الاشتغال بالتأديب.

وتدلّ أكثر نصوص التأديب العام على أن ذلك التأديب كان في المدن، غير أن بعض نصوصه دلّت على أنه كان في القبائل، وأن القبيلة ربما سعت في طلب المؤدّب لأولادهم[30]، وطلبُ أبناء البادية مؤدّبا لأبنائهم مما يدلّ على شيوع ثقافة على تقدير العلم، وحرص أبناء البادية على تنشئة أبنائهم على فضيلة العلم، وهو ما يكشف عن حالة حضارية متميّزة.

وكان أكابر أصحاب العربية أوفر حظّا مِن عامّة المشتغلين باللغة والنحو، وذلك لإمكانية اشتغالهم بالتأديب الخاص، فقد شاع شيوعا ظاهرا اختيار النخبة الحاكمة لكبار علماء العربية من أجل تأديب أولادهم، وهو جزء من التأهيل العلمي لما سيتولّاه الأولاد أو رغبة في أن ينالوا المكانة التي نالها آباؤهم، ومعرفة العربية ضرورة في حق أصحاب المناصب، ويُروى أن ابن مروان تردّد في تولية ابنه الوليد وهو

أبو عبيد القاسم بن سلّام"، نعم، ذكرت مصادر عن أبي عبيد -كما سيأتي في المتن- أنه أدّب أولاد الهراثمة وأدّب أولاد ثابت الخزاعي، لكن إطلاق صفة المؤدّب عليه في المصادر السابقة من دون قرنه بأولاد الخاصة تُرجّح أنه اشتغل أول أمره بالتأديب العام.

19 - يُنظر: النديم، الفهرست: 155، ياقوت، معجم الأدباء: 2480/6.

20 - يُنظر: النديم، الفهرست: 126، ياقوت، معجم الأدباء: 2303/5.

21 - يُنظر: أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 138-139، وفيه "وكان معلّما للصبيان ببغداد، ثم أدّب أولاد المتوكل"، ويُنظر: السيوطي، بغية الوعاة: 349/2.

22 - يُنظر: القفطي، إنباه الرواة: 179/3.

23 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 311، القفطي، إنباه الرواة: 230/3.

24 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 237.

25 - السابق: 257.

26 - السابق: 290.

27 - السابق: 290.

28 - السابق: 292.

29 - السابق: 292.

30 - ومن ذلك طلبُ إحدى القبائل مؤدّبا من المبرّد كما مرّ، وسيأتي عند الحديث عن اشتغال الأعراب بالتعليم أن فيهم مَن كان يعلّم في البادية، ومنهم أبو ثروان وابن كِركِرة.

لحّان لا يجيد العربية؛ لأنه "لا يلي العربَ إلا مَن تكلّم بكلامهم"[31].

ومِن التأديب الخاص أن أبا مسلم الهراء كان يؤدّب عبد الملك بن مروان[32]، وأن اليزيدي كان يؤدّب ولد يزيد بن منصور (خال المهدي) فنُسب إليه، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدّب المأمون، وخرج معه إلى خراسان وتوفي بها، وكان الكسائي مؤدّب أخيه الأمين[33]، وكذلك كان عليّ بن المبارك الأحمر يؤدّب الأمين[34]، وقد قيل فيه: "لم يصِر إلى أحد قط من التأديب ما صار إليه"[35]، وكان مسلمة النحوي (ابن اخت الحضرمي) يؤدّب جعفر بن أبي جعفر المنصور (ابن الخليفة)، ومضى معه إلى الموصل وأقام بها حتى مات[36]، وكان أبو عبيد القاسم بن سلام يؤدب أولاد الهراثمة[37] (نسبة إلى هرثمة بن أعين من كبار قادة العباسيين)، واتصل بثابت الخزاعي (قائد عباسي) وأدّب ولده، ولما ولي ثابت طرسوس، ولي أبو عبيدة القضاء بها[38]، وكان قطرب يعلّم ولد أبي دلف القاسم بن عيسى (من القادة زمن المأمون والمعتصم)، ثم توفيّ فأدبهم بعده ابنه الحسين بن قطرب[39]، وكان أبو توبة زياد بن زياد الأعرابي مؤدّبا لابن سعيد بن سَلْم[40] (ولي بعض الأعمال في مرو)، وكان الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة يؤدّب ولد المعذِّل بن غيلان[41] (أديب وشاعر)، وكان أبو المنهال اللغوي المهلّبي (تلميذ الخليل) مؤدّب الأمير أبي العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين[42]، وكان هشام بن معاوية الضرير النحويّ (من أصحاب الكسائي) يؤدّب ولد الرُّخَّجيّ (من كُتّاب العباسيين)، وكان يجري عليه في كل شهر عشرة دنانير[43]، ومن ذلك أن ابن قادم النحوي (من أصحاب الكسائي) كان يؤدّب ولد سعيد بن قتيبة الباهلي[44] (والي البصرة للأمويين والعباسيين)، واصطفى المتوكّلُ ابنَ ناصح النحوي (ممن أخذ عن الأصمعي) من بين عدد من النحاة بعد أن تذاكروا في العلم لتأديب ولدَيه المنتصر والمعتز، وقد قال له المعتزّ يوما: يا مؤدّبي، تصلّي جالسا وتضربني قائما! فأجابه بأن ضربه من الفروض[45]، وكان إبراهيم بن سعدان النحوي يؤدّب المؤيّد[46]، وكان صالح بن معافى يؤدّب عند بني فُطيس[47] (فطيس بن سليمان ممن دخل الأندلس واتّصل بحكامها)، وأدّب ثعلب أولاد محمد بن عبد الله بن طاهر (صاحب الشرطة) ثلاث عشرة سنة، وكان يُجري له في الشهر ألف درهم[48]، وطلب إبراهيمُ بن المُدَبِّر (من وزراء المعتمد) مِن المبرّد مَن يجمع بين مجالسته وتأديب ولده، فندب له الأخفش الصغير

31 - ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق0: 63/ 169.
32 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 125، القفطي، إنباه الرواة: 169/4.
33 - يُنظر لما سبق: ابن المعتز، طبقات الشعراء: 275، السيرافي، أخبار النحويين البصريين: 33، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 62.
34 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 134، التنوخي، تاريخ العلماء النحويين: 187.
35 - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 1670/4، القفطي، إنباه الرواة: 314/2.
36 - يُنظر: اليغموري، نور القبس: 39.
37 - يُنظر: النديم، الفهرست: 106، وفيه "الهرائمة"، وهو خطأ، وقال القفطي: "وكان مؤدّبا لآل هرثمة"، القفطي، إنباه الرواة: 13/3، اليغموري، نور القبس: 315.
38 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 199، القفطي، إنباه الرواة: 19/3، اليغموري، نور القبس: 314.
39 - يُنظر: النديم، الفهرست: 78، ياقوت، معجم الأدباء: 2646/6، القفطي، إنباه الرواة: 220/3.
40 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 198، القفطي، إنباه الرواة: 103/4.
41 - يُنظر: المرزباني، معجم الشعراء: 388.
42 - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 2151/5، القفطي، إنباه الرواة: 384/2.
43 - يُنظر: القفطي، إنباه الرواة: 364/3، اليغموري، نور القبس: 302.
44 - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 2544/6، القفطي، إنباه الرواة: 196/4، اليغموري، نور القبس: 314.
45 - يُنظر: النديم، الفهرست: 109، أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 158-159، ياقوت، معجم الأدباء: 363/1.
46 - في أكثر المصادر أنه أدّب المؤيد نفسه، وفي رواية عند القفطي أنه كان يؤدب ولد المؤيد بسرّ مَن رأى، وفي رواية أخرى عند القفطي ما يوافق المصادر الأخرى، يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 64/1، القفطي، إنباه الرواة: 204/1، السيوطي، بغية الوعاة: 413/1.
47 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 276.
48 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 148، ياقوت، معجم الأدباء: 536/2، 545.

وبعثه إلى مصر[49]، ولما ولي عبيد الله بن سليمان الوزارة، كتبَ إلى ثعلب في الاختلاف إلى ولده، فاعتذر بالشيخوخة والضعف، وأرسل إليه هارون بن الحائك الضرير، غير أن عبيد الله جمع بينه وبين الزجاج ليصطفي أفضلهما علمًا، فتساءلا، فاختار الزجّاج وصرف هارون[50]، وكان الزجّاج يعلّم أولاد المعتضد[51]، وكان ابن ولّاد يؤدّب ولد صاحب خراج بغداد[52]، وأدّب محمد بنُ هبيرة أولاد محمد بن يزداد[53] (وزير المأمون)، وكان أبو عمر الزاهد يؤدّب ولد محمد بن يوسف[54] (قاضي القضاة)، بل مِن اللطيف أن من علماء العربية أنفسهم مَن نال المكانة والقدرة المالية على أن يتّخذ لأولاده مؤدّبا خاصّا على طريقة الأكابر، ومنه أن الأخفش ورد بغداد وقصد مسجد الكسائي، وسأل الكسائي في مسائل وخطّأه، فعرفه الكسائي وأجلّه، وطلب منه أن يؤدّب ولده وأن لا يفارقه[55].

وربما أسند ذوو المناصب إلى صاحب العربية اختبار المؤدّبين، ومن ذلك أن الواثق قال لأبي عثمان المازني: "إنَّ هاهنا قومًا يختلفون إلى أولادنا، فامتحِنْهم، فمَنْ كان منهم عالمًا يُنتفع به ألزمناه إيَّاهم، ومَن كان بغير هذه الصفة قطعناه عنهم"[56]، فجُمعوا إلى أبي عثمان وامتحنهم فما وجد طائلا، وربما كانت وظيفة صاحب العربية الإشراف على المؤدّبين، فقد جاء أن أبا سعيد الضرير (لقي أبا عمرو الشيباني وابن الأعرابي) كان يختار بخراسان المؤدّبين لأولاد قوّاد عبد الله بن طاهر، ويبيّن مقدار أرزاقهم، ويطوف عليهم، ويتعهّد مَن بين أيديهم من أولئك الصبيان[57].

وكان تأديبُ صاحب العربية أولاد عِلية القوم يجعل له مكانة بين نظرائه من النحاة وفي المجتمع عامّة، ومن ذلك أن الكسائي سُئل بحضرة يونس عن تعليلٍ في حقّ "أي" الموصولة، فانتُهي به إلى أن قال: "أيّ كذا خُلقت"، وهو جواب لا يُعهد في عُرف النحاة المتفنّنين في ضروب التعليل، الذين اتخذوه أصلا نحويّا لإثبات حكمة العرب في كلامهم، فغضب يونس من تضييقهم على الكسائي، وقال: "تؤذون جليسنا ومؤدّب أمير المؤمنين؟!"[58]، ومنه أيضا أن سيبويه لمّا ورد على يحيى بن خالد البرمكي، طلب الجمع بينه وبين الكسائي، فحذّره: "لا تفعل، فإنه شيخ مدينة السلام وقارئها، ومؤدّب ولد أمير المؤمنين، وكل مَن في المصر له ومعه"[59]، ونجد مرة أخرى نحاة غير مشهورين من أصحاب التراجم المقتضبة في كتب الطبقات، ويكون أهم ما في تلك الترجمة المقتضبة أن صاحبها أدّب ولد أمير المؤمنين، ومن ذلك "الذهن: هو أيوب مصور، كان ذا علم بالعربية، ومؤدّبا بها، وأدّب ولد أمير المؤمنين الناصر لدين الله رضي الله عنه"[60]، "المكلفخي: أبو عبد الله، كان عالما بالعربية، رواية للشعر، وأدّب بعض ولد أمير المؤمنين رضي

49 - يُنظر: التنوخي، تاريخ العلماء النحويين: 45، ياقوت، معجم الأدباء: 1773/4.
50 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 151-152، ياقوت، معجم الأدباء: 2762/6.
51 - يُنظر: النديم، الفهرست: 90، القفطي، إنباه الرواة: 232/3.
52 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 217، ياقوت، معجم الأدباء: 2674/6.
53 - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 2674/6.
54 - أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 208، ياقوت، معجم الأدباء: 2557/6.
55 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 70، التنوخي، تاريخ العلماء النحويين: 87.
56 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 92، ياقوت، معجم الأدباء: 760/2.
57 - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 256/1.
58 - السيرافي، أخبار النحويين البصريين: 29.
59 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 69، ياقوت، معجم الأدباء: 2125/5.
60 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 299.

الله عنه"[61]، "هارون بن زياد النحوي: مؤدّب الواثق بالله، روى عنه ولده جعفر"[62].

وقد أفادت أخبارٌ بالمقدار اليومي الذي كان العلماء يقدّمونه لأولاد الأعيان، فقد ذُكر أن الكسائي أُصيب بالوَضَح في وجهه وبدنه، فكرهَ الرشيد أن يلازم أولاده وهو على تلك الحال، فخشي الكسائي أن يُؤتى بمَن يغلب على موضعه، وعزم أن يأتي بمن لا تُخشى ناحيته، فاستخلف الأحمرَ، فخشي الأحمر أن لا يفي بما يحتاجون إليه، فأبان له الكسائي سهولة الأمر وتكفّل له بالإعداد اليومي: "إنما يحتاجون في كلّ يوم إلى مسألتين في النحو وبيتين من معاني الشعر وأحرف من اللغة، وأنا ألقّنك في كلّ يوم قبل أن تأتيهم ذلك فتتحفظه وتعلّمهم"[63].

وقضية تأديب النحاة لأبناء النخبة قديمة ذُكرت منذ نحاة الطور الأول (ما قبل سيبويه)، فقد جاء أن والي البصرة حملَ عيسى بن عمر مقيّدا إلى أمير العراق، وأراد تهدئته فقال: لا بأس عليك، إنما أراد الأمير لتؤدّب ولده، فقال عيسى: فما بالُ القيدِ إذن؟ فبقيت مثلاً بالبصرة[64]، بل يُذكر التأديب في زمن أقدم من ذلك، فيُروى أن معاوية بن أبي سفيان اتخذ دَغفَلا النسّابة مؤدّبا لابنه يزيد يعلّمه العربية والأنساب[65]، وأن أبا الأسود الدؤلي كان يعلّم أولاد زياد بن أبيه وهو والي العراقين[66].

ومن القصص النادرة للزهد في تأديب أولاد الأعيان أن سليمان بن عليّ والي الأهواز أرسل إلى الخليل لتأديب أولاده، وقيل سليمان بن حبيب بن المهلّب من أرض السند، فاعتذر الخليل عن ذلك، وأجاب بأبيات جاء في أولها "أبلغْ سليمان أنّي عنهُ في سعةٍ"[67].

وثمة نوع آخر من أصحاب المعرفة اللغوية اشتغلوا بمهنة التأديب مثلما اشتغل العلماء، وهم الأعراب الفصحاء العارفون بالعربية لغة وأدبا، فقد اشتغل الأعراب بالتأديب العام، فمن ذلك أنه جاء في ترجمة الأعرابي أبي البيداء الرياحي أنه كان يعلّم الصبيان بالبصرة بأجرة[68]، ومِن الذين اشتغلوا بالتعليم في البادية أبو ثَرْوان العُكْلي[69] وابن كِرْكِرة[70]، ومن جهة أخرى اشتغل الأعراب بتأديب أولاد الخلفاء والأمراء وأولاد قوّادهم، ومن ذلك أن أبا العَمَيثَل كان مؤدّبا لولد عبد الله بن طاهر[71]، وقرّب الأعرابَ الخلفاءُ والأمراءُ أيضا، وربما استقدموهم إلى بلاد بعيدة، فقد أقدم عبد الله بن طاهر إلى نيسابور جماعةً من أدباء الأعراب لتأديب أولاد قوّاده[72]، بل تكسّب الأعراب من العلماء أنفسهم، فأنفقوا عليهم لما عندهم من نفائس البادية. جاء عن أبي حمّاد الخياط أنه "كان مِن أطلب الناس لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي"[73]، واستغلّ الأعراب بضاعتهم في التكسّب على نحو عام، فقد يضنّ الأعرابي على سائل إذا لم يعطه، ومن

61 - السابق: 304.
62 - السيوطي، بغية الوعاة: 319/2.
63 - ياقوت، معجم الشعراء: 1671/4، السيوطي، بغية الوعاة: 158/2-159، وعند ياقوت "ثنتين من معاني الشعر"، والمثبت من السيوطي، وقد نُقل أن أبا عمر الزاهد كان يؤدّب أحد أولاد الخاصة، وأنه في يوم "أملى على الغلام نحوا من ثلاثين مسألة في اللغة، وذكر غريبها، وختمها ببيتين من الشعر"، يُنظر: أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 208، ياقوت، معجم الأدباء: 2557/6، وهو مقدار كثير إذا ما قورن بما في قصة الكسائي، فيحتمل أن أبا عمر أملى مقدارا لعدد من الأيام، ويحتمل أن ثمة فارقا في مستوى الطلاب بين الخبرين، ويظلّ خبر الكسائي الأنسب لحال المتعلّمين.
64 - يُنظر: السيرافي، أخبار النحويين البصريين: 27، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 44-45.
65 - يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: 291/17، اليغموري، نور القبس: 347.
66 - يُنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: 536/2.
67 - يُنظر: السيرافي، أخبار النحويين البصريين: 31-32، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 47، أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 46.
68 - يُنظر: النديم، الفهرست: 66.
69 - يُنظر: السابق: 69.
70 - يُنظر: السابق: 66.
71 - يُنظر: السابق: 72.
72 - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 254/1، والصفدي، الوافي بالوفيات: 228/6.
73 - ابن عبد ربه، العقد الفريد: 81/4.

ذلك أن الأعرابي أبا خَيْرة العَدَوي كان إذا سألَه إنسانٌ عن شيء ولم يُعطه شيئا، يعتلّ عليه بالبول[74].

هذا، وقد كان تأديب أولاد الخاصة يجعلهم يحصلون على الثقة والتقدير، فينالون بذلك المناصب، وبهذا نعرف أن التأديب الخاص كان عبورا محتملا إلى وظائف عُليا[75]، وقد مرّ أن أبا عبيد القاسم بن سلام أدّب أولاد ثابت الخزاعي، ثم صار الخزاعي واليا لطرسوس، فانتقل أبو عبيدة معه إليها وصار قاضيا بها، ومثل ذلك أن الكسائي أدّب أولاد الرشيد ثم ارتقى إلى طبقة جلساء الرشيد وخاصته[76].

ثانيا: وجوه مِن تكسّب أصحاب العربية بالقُرب من أصحاب المراتب

إن التقدير الاجتماعي العالي للعربية جعل لعلماء اللغة والنحو مكانة رفيعة في ذلك المجتمع، وقد قرّب عِليةُ القومِ أولئك العلماء، وسمعنا أخبارهم بين أيديهم يسألونهم في قضايا اللغة ودقائقها، وتدور بينهم مناظرات في بلاطات السلطة، بل إن بعض أهل اللغة والنحو غلبوا غيرهم مِن العلماء، مثل الفقهاء، في القرب مِن السلطان، فقد ذُكر عن أبي يوسف أنه دخل على الرشيد والكسائي عنده يمازحه، فقال له أبو يوسف: هذا الكوفي قد سعدَ بك وشغلك! فقال: يا أبا يوسف، إنه ليأتيني بأشياء يشتمِل عليها قلبي، فينبري الكسائي ويستأذن من أبي يوسف في مسألة، فيرد: نحو أم فقه؟ فيقول الكسائي: بل فقه، ويسأله في رجل قال لامرأته: "أنتِ طالق أن دخلتِ الدار"، فيخطئ الوجهَ أبو يوسف، ويضحك الرشيد[77].

وقد تكسّب أصحاب العربية بتأليف الكتب لأصحاب الرتب العَليّة، ونالوا على ذلك العطايا، فقد جاء في بعض العلماء أنه كان إذا ألّف، أهدى للأعيان فنال على ذلك، فمما جاء في ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام أنه "كان إذا ألّف كتابا، أهداه إلى عبد الله بن طاهر، فيحمل إليه مالا خطيرا"[78]، وممن كثر عنه التأليف المتصل بأصحاب المراتب وسعِدَ بذلك الجاحظ، فيُنقل عن أبي عثمان أنه أهدى كتاب "الحيوان" للوزير ابن الزيات، فمنحه خمسة آلاف دينار، وأهدى كتاب "البيان والتبيين" إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد، فمنحه خمسة آلاف دينار، وأهدى كتاب "الزرع والنخل" إلى إبراهيم بن العباس الصولي، فأعطاه خمسة آلاف دينار[79]، وألّف الجاحظ لابن أبي دؤاد رسالة "المعاش والمعاد"، ورسالة في "نفي التشبيه"، ورسالة يخبره فيها بكتاب الفُتيا، ورسالة في "النابتة"[80]، وألّف للوزير ابن الزيات رسالة في "الجدّ والهزل"[81]، وألّف رسالة "مناقب الترك" ليحيى بن خاقان، وهو من أصل تركي[82]، وألّف للوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان كتاب "فصل ما بين العداوة والحسد"[83]، وألّف رسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب[84].

وربما طلب الرجل من أرباب الرتب من العالم أن يؤلّف له، ومن ذلك أن عمر بن بكير –وهو مِن جلساء

74 - يُنظر: الأصفهاني، الأغاني: 396/18. ولمزيد من التفصيل في أحوال الأعراب الفصحاء، يُنظر: العبسي، أعراب الرواية اللغوية وتثقيف السليقة: 71-72.
75 - يُنظر: قمبر، المؤدبون وصنعة التأديب: 176.
76 - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 1738/4.
77 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 127، ياقوت، معجم الشعراء: 1741/4، اليغموري، نور القبس: 285.
78 - النديم، الفهرست: 106، أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 110.
79 - يُنظر لما سبق: ياقوت، معجم الأدباء: 2117/5-2118.
80 - يُنظر لما سبق: الجاحظ، رسائل الجاحظ (مقدمة المحقق): 89/1، 281، 311، 5/2.
81 - يُنظر: السابق (مقدمة المحقق): 229/1.
82 - يُنظر: السابق (مقدمة المحقق): 3/1.
83 - يُنظر: السابق (مقدمة المحقق): 335/1.
84 - يُنظر: السابق (مقدمة المحقق): 323/1.

الحسن بن سهل– كتب للفراء "إن الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن، فإن رأيت أن تجمع لي أصولا، وتجعل في ذلك كتابا يُرجع إليه، فعلت"، فجمع الفراء أصحابه وأملى كتابا في القرآن في نحو ألف ورقة، حتى قيل "لا يمكن لأحد أن يزيد عليه"[85]، وكتب أحمدُ بنُ الواثق (ابن الخليفة العباسي) إلى أبي العباس المبرد يسأله عن الشعر والنثر أيهما أبلغ، فعمل له رسالة في البلاغة[86]، بل ربما طلب العالم الذي نال الحظوة والمال من عالم آخر أن يؤلف في موضوع ما، فمما يحكيه الأخفش الأوسط عن الكسائي –وقد كان مؤدّبا لولده كما مرّ–: " سألني أن أؤلف له كتابًا في "معاني القرآن"، فألَّفتُ كتابي في المعاني، فجعله إمامًا لنفسه وعمل عليه كتابًا في المعاني، وعمل الفرَّاءُ كتابه في المعاني عليهما"[87].

ومن عموم أخبار التأليف المتصل بأصحاب الرتب أن المفضل الضبّي عمل "المفضليات" للمهدي[88]، وألّف الفرّاء كتاب "البهي" لعبد الله بن طاهر[89] (والي خراسان)، وجاء عن اليزيدي أنه ألّف كتاب "النوادر" لجعفر بن يحيى البرمكي[90] (وزير الرشيد)، وعمل محمد بن هبيرة لابن المعتز (الخليفة العباسي) رسالة فيما أنكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته فيه[91]، وعمل أبو المنهال اللغوي المهلّبي لإسحاق بن إبراهيم الطاهري (أمير بغداد) كتابا في القرآن[92].

وظهرت صلة علماء العربية بذوي المناصب في مقدّمات كتبهم، فابن قتيبة يذكر في مقدمة "أدب الكاتب" الوزير أبا الحسن، وهو عبيد الله بن يحيى بن خاقان، ويثني عليه[93]، وابنُ دُريد في مقدّمة كتابه "جمهرة اللغة" يذكر إسماعيل بن عبد الله بن مُحَمَّد بن ميكال (والي المقتدر على الأهواز) ويثني عليه[94]، وأبو عليّ القالي يذكر في مقدّمة كتابه "الأمالي" أنه بقي مدّة يبتغي لكتابه مشرّفا وأقام زمنا يرتاد له مشتريا، ثم يذكر عبد الرحمن الناصر ملك الأندلس، ويطنب مبالغا في الثناء عليه بما اسطاع من أوجه من المديح، ويذكر أيضا ولي عهده ويثني عليه كما فعل مع أبيه[95]، والزبيدي يذكر في مقدّمة كتابه "طبقات النحويين واللغويين" سبب التأليف فيقول: "وإن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله –رضي الله عنه– لما اختصه الله به، ومنحه الفضيلة فيه من العناية بضروب العلوم، والإحاطة بصنوف الفنون، أمرني بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الإسلام، ثم مَن تلاهم من بعد إلى هلم جرا، إلى زماننا هذا..."[96].

وربما ظهرت تلك الصلة في عنوان الكتاب، يبيّنه أن أبا عليّ الفارسي ألّف للسلطان عضد الدولة ثاني الملوك البويهيين "الإيضاح العَضُدي"، ويُسمّى أيضا "الإيضاح"، ويُلقب بـ"العَضُدي"[97]، فلما رآه السلطان

85 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 132-133، النديم، الفهرست: 99، القفطي، إنباه الرواة: 4/9-10.
86 - يُنظر: المبرد، البلاغة: 80.
87 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 70، التنوخي، تاريخ العلماء النحويين: 87.
88 - يُنظر: النديم، الفهرست: 102، أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 110.
89 - يُنظر: النديم، الفهرست: 100.
90 - يُنظر: النديم، الفهرست: 75، أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 69-70.
91 - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 2674/6، السيوطي، بغية الوعاة: 256/1.
92 - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 2151/5.
93 - يُنظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب: 5.
94 - يُنظر: ابن دريد، جمهرة اللغة: 40/1.
95 - يُنظر: القالي، الأمالي: 2/1.
96 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 17.
97 - نُشر الكتاب بعنوان "الإيضاح العضدي" بتحقيق حسن شاذلي فرهود عام 1969م، وقد ذكر المحقق أنه عنوان نسخة الأصل التي اعتمد عليها، ونشر بعنوان "الإيضاح" بتحقيق كاظم بحر المرجان عام 1996م، وتلقيبه

استقلّه، فألّف له الفارسي "التكملة"[98]، وللفارسي أيضا "المسائل العَضُديات"، وللفارسي أيضا "المسائل القصرية أو القصريات"، ذُكر أنها نسبة لقصر ابن هبيرة في نواحي الكوفة وقيل غير ذلك[99]، ومثله كتاب ابن فارس "الصاحبي في فقه اللغة" نسبةً للصاحب بن عبّاد (أحد الوزراء)، واستمرّت أمثلة مِن تسمية أصحاب العربية للكتب بأسماء الأعيان إلى وقت متأخر جدّا، ومن ذلك كتاب السيوطي "المتوكّلي"، نسبة إلى معاصره الإمام المتوكّل على الله الهاشمي العبّاسي، كما ذكر في مقدّمته[100]، وموضوع الكتاب فيما في القرآن مِن اللغات الأعجمية.

إن التأليف المتصل بعِلية الناس في كل من الصور السابقة كان –بلا شك– يعود على أصحابه بالمنافع الدنيوية وإن لم يُنقل صراحة في بعض تلك الأخبار، ولا شك أن ذلك كان له دوره في دفع علماء العربية إلى التأليف، وهذا ما قد صُرّح به في بعض سير النحاة، فقد جاء في ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام "كان أبو عبيد يسبق بمصنّفاته إلى الملوك، فيجزونه عليها، فلذلك كثرت مصنّفاته"[101].

ويُضاف إلى ما سبق أن قُرب رؤوس العربية مِن الأعيان قد أمكنَهم مِن الظفر بكثير من الأموال والعطايا بوجوه أخرى، فقد أُشخص المازني إلى الواثق، ليجيب عن إشكال في بيت مِن الشعر غنّته جارية، فأجاب المازني بالصواب، وطلبه الواثق لمجالسته، فاعتذر المازني، وأمر له الخليفة بألف دينار وكسوة وطيب[102]، وتناظر سيبويه والكسائي في المسألة الزنبورية أمام يحيى بن خالد بن برمك، وقد وُهِب فيها سيبويه عشرة آلاف درهم على أنه لم يكن المنتصر فيها[103]، وكان أبو جعفر الضبّي الكوفي مؤدّبَ عبد الله بن المعتز، فلما كان في سورة "والنازعات"، قال له: إذا سألك أمير المؤمنين: في أيّ شيء أنت؟، فقل: أنا في السورة التي تلي "عبس". فسأله أبوه، فأجاب كما عُلّم، فأمر لأبي جعفر بعشرة آلاف درهم[104]، وسأل المأمونُ اليزيديَّ عن شيء، فقال: لا، وجعلني الله فداك، فاستحسن منه هذه الواو، ووصله بعطية سنيّة[105]، وطلب المأمون النضر بن شميل للمسامرة وأمر له بخمسين ألف درهم[106]، وقال الأحمر: "قعدتُ مع الأمين ساعة من نهار، فوصل إليّ فيها ثلاث مئة ألف درهم، فانصرفتُ وقد استغنيتُ"[107]، ودخل الأصمعي على الرشيد، وحكى له قصة أضحكته حتى استلقى، فأمر له بمئة ألف درهم[108].

ومن الأخبار في أموال النحاة أن ثعلبا توفي "وكان خلَّف أحدًا وعشرين ألف درهم وألفي دينار، ودكاكين بباب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار"[109]، وعُرف بعض العلماء بالبذخ مِن كثرة ما ينال، جاء في سيرة أبي الوليد المهري –وهو شيخ أهل اللغة والعربية والنحو في زمانه– "كان المهري مع أدبه وعلمه أحد

بالعضدي ورد في: التنوخي، تاريخ العلماء النحويين: 27، القفطي، إنباه الرواة: 387/2.

98 - يُنظر لما سبق: ياقوت، معجم الأدباء: 318/2، التنوخي، تاريخ العلماء النحويين: 27.

99 - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: 2543/6، السيوطي، بغية الوعاة: 122/1.

100 - يُنظر: السيوطي، المتوكلي: 2.

101 - أبو الطيب، مراتب النحويين: 113، وردت بالأصل "فيجيزونه عليها"، والصواب ما أُثبت.

102 - يُنظر: السيرافي، طبقات النحويين البصريين: 134.

103 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 69، التنوخي: تاريخ العلماء النحويين: 104، السيوطي، بغية الوعاة: 290/2.

104 - أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 157، ياقوت، معجم الأدباء: 2585/6.

105 - يُنظر: أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 70، القفطي، إنباه الرواة: 33/4.

106 - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 134.

107 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 134.

108 - يُنظر: أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 95-96.

109 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 150، ياقوت، معجم الأدباء: 536/2.

المبذّرين في معيشته، ومن ذوي النهامة والإغراق في مطاعمه، لا قصد له ولا رفق، لا يُمسك دينارًا، على كثرة ما يُوصل ويُجبى"[110].

هذا، وقد جاءت أخبار أن صاحب العربية إذا لم يجد كسبا بالعِلم في مدينته، انتقل إلى مدينة أخرى، فقد جاء في سيرة النضر بن شميل أنه ضاقت به المعيشة بالبصرة، فخرج منها يريد خراسان، فشيَّعه مِن أهل البصرة نحوُ ثلاثة آلاف رجل، ما فيهم إلا محدِّث أو لغوي أو نحوي أو عروضي أو أخباري. فلما صار بالمِرْبد جلس، فقال: يا أهل البصرة، تعزُّ عليَّ مفارقتُكم، والله لو وجدتُ كل يوم كِيلَجَةً من باقلَّا، ما فارقتكم. فلم يكن فيهم أحد يتكفّل له بذلك، حتى وصل إلى خراسان، فأفاد أموالًا عظيمة. وقد ذكر أصحاب طبقات النحاة أنّ أبا عبيدة ذكر هذه القصة في كتابه "مثالب أهل البصرة"[111].

وعلى منوال علماء العربية، كان الأعراب الرواة قريبين من أصحاب المراتب، ولا شك أنهم نالوا من ذلك منافع دنيوية، فأبو الجاموس ثور بن يزيد كان يفد على آل سليمان بن عليّ[112] (عمّ المنصور ووالي البصرة)، ووفد أبو شَنْبَل العُقيلي على الرشيد واتصل بالبرامكة[113]، ووفد أبو مِسْحَل عبد الوهاب بن حَريش على الحسن بن سهل[114] (من وزراء المأمون)، ووفد أبو ضَمْضَم الكلابي على الحسن بن سهل، وله فيه أشعار جياد[115]، وانقطع أبو دعامة إلى البرامكة[116]، وفي سيرة الأعرابي شُبَيل بن عَزْرة الضُّبَعي أنه جاء أبا عمرو بن العلاء، فقام إليه أبو عمرو وألقى له لِبْد بغلته فجلس عليه، ثم أقبل يحدّثه، فذكر الضبعي رؤبة وانتقصه، فقام إليه يونس بن حبيب يسأله، فلم يُحِر الضُبعي جوابا وقام مغضبا، فقال أبو عمرو ليونس: "هذا رجل شريف يقصد مجالسنا، ويقضي حقوقنا، وقد أسأت فيما واجهته به"[117]، والظاهر أن تقدير أبي عمرو له أولا، ثم وصفه بأنه شريف يقضي حقوقه يعود إلى أن شُبيلا ذو مكانة عند أصحاب السلطان، وأنه كان يفد عليهم كما ذُكر في غيره من الأعراب، وذكر في ترجمة بعض الأعيان حرصه على تقريب الأعراب، ففي ترجمة الفتح بن خاقان أنه كان يحضر دارَه فصحاءُ الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين[118].

ومن الأخبار الصريحة في عطايا الأعراب أن الواثق رأى مناما، وفيه أنه سأل الله الجنة، فقال له قائل: "لا يهلك على الله إلا مَن قلبه مَرْت"، فأصبح يسأل الجلساء عن ذلك، فلم يعرفوا حقيقته، فوجّه إلى أبي مُحَلِّم فأحضره وسأله عن الرؤيا ومعنى "المَرْت"، وأمر له بألف دينار وأراده لمجالسته، ولكن أبا مُحَلِّم أبى[119]، وإباء الأعرابي مجالسة الخليفة أمر يلفت النظر، ومنها أيضا أن أبا العَمَيثَل دخل على طاهر بن الحسين وقد جلس للناس فقبل يده، فقال طاهر: ما أخشنَ شاربَك يا أبا العَمَيثل! فقال: أيها الأمير، إن شَوك القُنفذ لا يضرّ بِبُرْثُن الأسد. فضحك طاهر وقال: هذه الكلمة أعجب إليّ مِن قصيدتك. وأعطاه ألف درهم على قصيدته، وثلاثة آلاف درهم على كلمته[120].

وبتأمّل قصص العطاء للعلماء والأعراب، يبدو لنا أن العلماء كانوا أكثر حظّا، فربما بلغت مئة ألف درهم

110 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 230، ياقوت، معجم الأدباء: 2859/6-2860.
111 - يُنظر لما سبق: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 55، القفطي، إنباه الرواة: 348/3-349.
112 - يُنظر: النديم، الفهرست: 67.
113 - يُنظر: السابق: 68، في الأصل "أبو شبلى"، وما أثبت هو الصواب.
114 - يُنظر: السابق: 69.
115 - يُنظر: السابق: 69-70.
116 - يُنظر: السابق: 71.
117 - القالي، الأمالي: 1/ 48، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 52.
118 - يُنظر: النديم، الفهرست: 130، ياقوت، معجم الأدباء: 2157/5.
119 - يُنظر: اليغموري، نور القبس: 211، السيوطي، بغية الوعاة: 257/1.
120 - يُنظر: النديم، الفهرست: 72-73.

(مثل عطاء الرشيد للأصمعي)، وربما بلغت ثلاث مئة ألف درهم (مثل عطاء الأمين للأحمر)، وربما كانت خمسة آلاف دينار (العطاء للجاحظ على الكتاب من كتبه)، وفي مقابل ذلك، بلغ عطاء طاهر لأبي العَميثَل أربعة آلاف درهم، أما عطاء الواثق لأبي مُحَلّم (ألف دينار) فمختلف، ونرى أن ذلك يعود إلى أمرين: أن أبا مُحَلّم لم يكن من عامة الأعراب، بل هو إلى العلماء أقرب[121]، وأن استدعاء الواثق له تعلّق بأمر شخصي جدا. وعلى وجه العموم، يعود اختلاف النوعين في العطاء إلى اختلاف المكانة عند النخبة الحاكمة، فالعلماء هم الأرفع في نفوس عامة الناس، وهم – بالتعبير الديني– ورثة الأنبياء، وفي تقريبهم من السلطة إضفاء الشرعية للسلطة الحاكمة في نفوس عامة الناس، فكانت السلطة أحرص عليهم وعلى كسبهم من عامّة الأعراب الرواة.

ثالثا: الآثار السلبية لتكسّب أصحاب العربية بالعلم ولقربهم من أصحاب المراتب

كان لتكسّب أصحاب العربية بالعلم وقربهم مِن ذوي المراتب ونيلهم مِن وراء ذلك المكانة الاجتماعية والثراء الطائل –آثار سلبية متنوّعة، ومنها أنّ في علماء العربية مَن لم يكن ينتهي حيث سمِعَ أمام أرباب السلطان والجاه، بل ثمة مَن قد يجترئ على الاختلاق[122]، فـ"الله أعلم" ليست يسيرة على النفس في كلّ مقام، وهي أمام النخبة الحاكمة والأعيان أشدّ وطئا، وقد نُقل عن الكسائي الصراع النفسي الذي كان يعيشه إذا سُئل ولم يكن يحضره جواب في ذلك السياق، فـ"يُحكى عن الفراء أنه قال: دخلتُ على الكسائي يومًا، وكان يبكي، فقلتُ له: ما يبكيك؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد، يوجّه إليّ ليحضرني فيسألني عن شيء، فإن أبطأتُ في الجواب، لحقني منه عيب، وإن بادرتُ لم آمن من الزلل، قال: فقلتُ: يا أبا الحسن، مَن يعترض عليك؟! قُل ما شئتَ، فأنتَ الكسائي، فأخذ لسانه، وقال: قطعه الله إذن إذا قلتُ ما لا أعلم"[123].

إن الاقتراح الذي جاء على لسان الفرّاء "قُل ما شئتَ" فاستنكف عنه الكسائي بصرامة –أفادت أخبار بوقوعه فعلا من نحاة آخرين، فقد رُوي أن المبرّد زار عيسى بن ماهان (من كبار الولاة والقادة للعباسيين)، فسأله أولَ ما دخل عن الشاة المُجَثَّمة التي نهى النبي (ص) عن أكل لحمها؟ فقال: هي الشاة القليلة اللبن مثل اللَّجْبة، فقال: هل مِن شاهد؟ قال: نعم، قول الراجز:

لم يبقَ مِن آلِ الحميدِ إلا عُنَيزٌ لَجْبةٌ نَسَمَةْ مُجثَّمةْ

فدخل أبو حنيفة الدينوري، فسأله ابنُ ماهان السؤال نفسه، فقال: هي التي جُثِّمت على ركبها وذُبحت مِن خلف قفاها، فذكر له جواب المبرد المختلف، فردّ أبو حنيفة: أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه، فقال المبرّد معترفا: صدقَ الشيخ أبو حنيفة، فإنني أنفتُ أن أرِدَ عليك مِن العراق وذكري ما قد شاع، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه[124].

121 - وصف بأنه "أعلم الناس بالشعر واللغة"، النديم، الفهرست: 52، ووصف بأنه "كان إماما في اللغة والعربية وعلم الشعر وأيام الناس"، السيوطي، بغية الوعاة: 257/1، وكذلك له في علم الحديث "ورحل في طلب الحديث مرارا إلى مكة والكوفة والبصرة، وسمع من سفيان بن عيينة ووكيع وجرير بن عبد الحميد ومحمد بن فضيل بن غزوان وغيرهم"، السابق: 257/1.

122 - يُنظر: مغالسة، التنافس وأثره على النحو والنحاة: 114-115.

123 - يُنظر: أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 63، القفطي، إنباه الرواة: 266/2، الذهبي، معرفة القراء الكبار: 76.

124 - ياقوت، معجم الأدباء: 260/1، القفطي، إنباه الرواة: 78/1.

ومِن جنس ذلك الاختلاق أن صاعد بن الحسن الربعي كان متصلا بالمنصور أبي عامر بالأندلس، فسأله المنصور وقدّامه تمر يأكل منه، ما التمركُل في كلام العرب؟ فقال صاعد: يقال "تمركلَ" الرجل إذا التفّ بكسائه، فقال: إنما ركّبت له اسمًا مِن التمْر والأكل، فقال صاعد: قد وافق ذلك أمرا كان[125]، فلم يعترف صاعد هنا بالاختلاق كما اعترف المبرّد بشجاعة فريدة، بل أصرّ على أن ما أفتى به ليس إلا توافقا ومصادفة للكلمة التي ركّبها المنصور.

وأقلُّ مِن الاختلاق أن النحوي قد يصوّب غير الراجح عنده إرضاء لعِلية القوم، ومثاله أنّ المتوكل على الله ووزيره الفتح بن خاقان اختلفا في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُون﴾ [الأنعام:109]، قرأها المتوكل بالفتح وقرأها ابنُ خاقان بالكسر، فاستُدعي المبرّد إلى سُرّ مَن رأى، فلما دخل على الفتح وسأله، أجاب أنها بالكسر وبيّن وجه ذلك، ثم لما أُدخل المبرّد على المتوكّل وسأله السؤال نفسه أجاب المبرد "أكثر الناس يقرؤونها بالفتح"، ثم استدعاه الفتح بن خاقان مرة ثانية وعاتبه قائلا: "يا بصري، أول ما ابتدأنا به الكذب!"، فردّ المبرّد بأنه ما كذب وأنه ذكر أنّ أكثر الناس يقرؤونها بالفتح، والأكثرُ على خطأ، وأنه إنما تخلَّص من اللائمة، فاستحسن الوزير جوابه[126].

ومِن الآثار السلبية التي اتصّلت بتكسّب علماء العربية من العلم ما ورد عنهم من أخبار في تعمّد تعقيد مؤلفاتهم، فمن الحكايات المشهورة ما حكاه الجاحظ "قلتُ لأبي الحسن الأخفش: أنتَ أعلمُ الناسِ بالنّحو، فلِمَ لا تجعل كتبك مفهومة كلّها؟! وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها؟! وما بالك تقدّم بعض العويص وتؤخّر بعض المفهوم؟! قال: أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله، وليست هي مِن كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلّت حاجاتهم إليّ فيها، وإنّما كانت غايتي المنالة، فأنا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا، وإنّما قد كسبت في هذا التدبير؛ إذ كنتُ إلى التكسّب ذهبتُ"[127].

ونفيُ الأخفش الأوسط أن تكون كتب النحو مِن كتبِ الدين هو اعتذار للنفس غير واقعي، وإلا فالنظرة الدينية لعلوم العربية كانت سائدة، ومن ذلك أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول: "لَعِلمُ العربيةِ هو الدينُ بعينه"[128]، بل قدّم بعض المحدّثين تعلم اللغة على تعلّم الحديث. ومن ذلك حكاية وكيع: أتيتُ الأعمش أسمع منه الحديث، وكنتُ ربما لحنت، فقال لي: يا أبا سفيان تركتَ ما هو أولى بك من الحديث، فقلت يا أبا محمد: وأيُّ شيء أولى من الحديث؟ فقال: النحو[129]، وعرَضَ الدراوردي الحديث على عبد الرحمن بن الحارث، فجعل يقرأ ويلحن لحنًا منكرا، فقال له عبد الرحمن: ويحك يا دراوردي، أنتَ كنتَ بإقامة لسانك قبل هذا الشأن أحرى[130].

ومن الآثار السلبية لتكسّب النحاة بالعلم جنوح بعضهم إلى اللجاجة وعدم الانصياع للصواب فيما يحدث بين العلماء من المناظرات أو الجدال، فقد جاء أن هارون بن الحائك الضرير ناظر المبردَ يوما، فقال له المبرد: إني أرى لك فهما، فلا تكابر، فقال له ابنُ الحائك: يا

125 ـ القفطي، إنباه الرواة: 88/2، المراكشي، المعجب: 34.
126 ـ يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 102، التنوخي، تاريخ العلماء النحويين: 55.
127 ـ الجاحظ، الحيوان: 92-91/1.
128 ـ ياقوت، معجم الأدباء: 10/1.
129 ـ البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 26/2.
130 ـ السابق: 26/2.

أبا العباس، أيّدك الله، خبزنا ومعاشنا، فقال له أبو العباس: إن كان خبزك ومعاشك، فكابر إذن كابر[131]، أزعجت المبردَ مكابرةُ الضرير في البدء، غير أن الضرير لما ذكّره بارتباط الأمر بالمعاش والخبز، أباح المبرّد له المكابرة، بل حثّه عليها مستعملا التوكيد في كلامه "كابر إذن كابر"، وهذه من الحوادث النادرة التي ذكر فيها علماء العربية ارتباط علمهم بالمعاش بهذه الصراحة، ومنها أيضا قول الأخفش السابق "وإنما كانت غايتي المنالة".

ومِن أخطر الآثار السلبية للتنافس الدنيوي بين علماء العربية التي كان لها أثرها طويل الأمد في تصوّر تاريخ النحو – أن الخلاف النحوي بين نحاة المدينتين البصرة والكوفة أُلبس ثوبا يغاير حقيقته وأُعطي بُعدا غير واقعيّ، وبيان ذلك أنّ مِن أسباب الخلاف بين نحاة المدينتين ما يرتدّ إلى أسباب غير علمية، ومنها أن نحاة الكوفة كانوا قد حقّقوا مِن وراء القرب مِن النخبة في بغداد مركزا اجتماعيا بارزا وثراء طائلا، وأحسّوا أن ما حقّقوه معرض للاندثار إذا لم يكونوا أكفياء في الحفاظ عليه، وهكذا اتخذوا كلّ حيلة لردّ البصريين وكانوا صلابا أقوياء في وجوههم[132]، وبذلك نعرف أن الضجّة بين البصريين والكوفيين لم تكن تعود إلى أسباب علمية بالكلية، بل أسهمت أسباب خارج–علمية في صياغة عموم الخلاف النحوي على ذلك الوجه الثنائي.

وأهم ما يدل على حقيقة الخلاف أن النظر إلى نحو المدينتين على المستوى الإبستيمولوجي يدلّ على أن آلية التقعيد عند النحاة لا تختلف وأن أصول وضع القاعدة النحوية عند الفريقين واحدة (التعليل، العامل، التأويل)، فلم يكن الخلاف بينهم على مستوى الأصول، بل هي تنويعات على أصول نظرية واحدة، وهو مستوى قد وقع بين نحاة المدينة الواحدة.

والأمر الآخر أنّ الوحدة العلمية لكل واحد من المذهبين غير متحقّقة، وتصوّر المذهب البصري مذهبا واحدا في مقابل مذهب آخر هو الكوفي –ما هو إلا وهم من الأوهام الشائعة، وقد بيّن ذلك باحثون معاصرون درسوا الخلاف بين أصحاب المدرسة الواحدة.

فأما نحاة البصرة، فقد وقف عطا موسى على الخلاف بينهم في رسالته "الخلافُ بين نحاة البصرة"، ويقول في نتائج البحث: "الخلافُ بين البصريين لا يقلّ في حجمه عن الخلاف بين البصريين والكوفيين، وهو ما حداني على أن أستنتج أن الكوفيين لم ينطلقوا في خلافهم مع البصريين من وحدة قائمة بذاتها، وإنما كان ذلك تنوّعا في إطار التوحّد"[133]، ويضاف إلى ذلك أننا إذا نظرنا إلى البصريين، فإن كتاب سيبويه –وهو أقدم ممثّل لنحاة البصرة– يحوي مقدارا مِن الاختلاف بين سيبويه ومَن ينقل عنهم من جهة[134]، وبين مَن ينقل عنهم من جهة أخرى[135].

وأما نحاة الكوفة، فقد وقف حمدي جبالي على الخلاف بينهم في أطروحته "الخلاف النحوي الكوفي"، ويقول في نتائج بحثه: "3–الخلاف النحوي الكوفي يكاد يشمل جميع الأبواب النحوية، ومثل هذه الخلافات العريضة تؤثر في وحدة منهج الكوفيين في تناول قضايا اللغة ومسائل العربية وتضرّ به. 4–كثير من

131 ـ يُنظر: النديم، الفهرست: 101، ووقع عنده "ابن الحائل"، والصواب ما أثبت، القفطي، إنباه الرواة: 361/3.
132 ـ يُنظر: مغالسة، التنافس وأثره على النحو والنحاة: 107 وما بعدها.
133 ـ عطا، الخلاف بين نحاة البصرة: 208.
134 ـ يُنظر مثلا: راهي، ما اختلف فيه الخليل وسيبويه من مسائل التصريف.
135 ـ يُنظر مثلا: شهيدي، مسائل الخلاف بين الخليل ويونس في كتاب سيبويه، الدلابيح، دراسة لبعض المسائل النحوية الخلافية في كتاب سيبويه.

هذه الخلافات إنما كانت بين الشيوخ من الكوفيين، وهي تمثل اتجاهات فردية، ولا سيما لدى كل من الكسائي والفراء، ولا تُشكّل –على نحو مضبوط– مذهبا متميّزا يجمعها، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالآراء النحوية الكثيرة التي تفرّد بها نحاة كوفيون خالفوا فيها الجمهور، مما يجعل لكل واحد منهم منهجا نحويا له خصائصه وسماته"[136].

ومع كل الخلاف الواسع بين عموم النحاة: بين البصريين أنفسهم من جهة، وبين الكوفيين أنفسهم من جهة ثانية، وبين البصريين والكوفيين من جهة ثالثة، عملت الأسباب الخارج–علمية على إظهار الخلاف النحوي في صورة ثنائية زائفة. بدأ ذلك منذ زمن مبكّر، واستمرّ إلى زمن أفرد فيه الخلاف بين البصريين والكوفيين بالتأليف، وأشهر تلك المؤلفات وأكبرها كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" لأبي البركات الأنباري، وقد وقف الحلواني على محتوى هذا المصدر محقّقا ومدقّقا فقال في نتائج البحث: "3– كتاب الإنصاف لا يصلح لدراسة المذهبين وتحديد سماتها، لما فيه من تداخل نجم عن تدليس أبي البركات، وجهله بالمصادر الكوفية وما فيها مِن مواقف لا تختلف عن مواقف نحاة البصرة في كثير مِن المسائل التي عرضها على أنّها خلاف بين المذهبين. 4– كثير مِن مسائل الخلاف ليست خلافية، وإنما هي مِن جهل النقلة، أو سوء فهمهم الآراء الكوفية، ولم يكن عمل أبي البركات فيها إلا جمعا وتلفيقا لما نقله من أوهام مَن سمّاهم: أهل التحقيق. 5– أدلة الكوفيين في الإنصاف مِن عمل أبي البركات، لا مِن عمل بصريين متأخّرين كما رأى فايل، ولا من عمل أوائل البغداديين كما يرى الدكتور شوقي ضيف"[137]، وقد وافق على هذا الرأي عبد الرحمن الحاج صالح، ورأى أن الحلواني قد قدّم أدلة مقنعة على ما ذهب إليه، ونصّ الحاج صالح أيضا على أن كتاب ابن الأنباري لا يمكن اعتباره مرجعها موثوقا به لمعرفة الخلاف بين البصريين والكوفيين[138].

ومال باحثون آخرون إلى أن كثيرا من الآراء التي وقف عليها النحاة المتأخّرون ووجدوها مخالفة للأصول النحوية المستقرّة – نسبوها إلى الكوفيين من دون أن يكونوا قالوا بها حقا. قال بوهاس ورفيقاه: "من الممكن جدّا أن يُقال: عن موضوع النزاع بين مدرستي الكوفة والبصرة هو موضوع مختلق لا أصل له في الواقع ... من الضروري للغاية إدراك أن هذه الآراء لا علاقة لها بأي مدرسة كان لها وجود تاريخي حقيقي ... من الضلال قبول هذه المادة على أنها تتعلّق بخلاف تاريخي حقيقي"[139].

ومن المؤسف أنه، على الرغم من كل تلك المشكلات في إظهار الخلاف النحوي ثنائيا بين البصريين والكوفيين، ظلّ الأكثرُ شيوعا في المؤلفات المعاصرة لتاريخ النحو الاستسلامَ لفكرة مدرسة البصرة في مقابلة مدرسة الكوفة، وأخذَ الخلاف بين المدينتين على محمل الجد، ومحاولةَ إيجاد خصائص عِلمية لكل مدينة تميّزها عن الأخرى، بل امتدّ مثل ذلك التصور إلى كثير من الدراسات الأكاديمية.

تلك هي الآثار السلبية الظاهرة لقرب علماء اللغة والنحو من أصحاب السلطة والسياسة، ويبقى هناك أثر سلبي أخفى حضورا وأعسر تتبّعا، وهو أن وجود كثير من أكابر علماء العربية بالقرب من أصحاب

136 - جبالي، الخلاف النحوي الكوفي: 524.
137 - يُنظر: الحلواني، الخلاف النحوي: 437.
138 - يُنظر: الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان: 258-259.
139 - بوهاس ورفيقاه، التراث اللغوي العربي: 35-36.

السلطة بوجه عام، وصُنعَ كثير من مؤلفاتهم على عين السلطة بوجه خاص –لا يخلو من احتمال وقوعهم تحت تأثيرها، فمن غير البعيد أن بعض أولئك العلماء تبنى من الآراء اللغوية ما ينسجم مع أيديولوجية السلطة وهوى الحُكّام، ويحتمل أن مثل ذلك حدث في مؤلفاتهم أيضا، أو أن العلماء تجنّبوا –في الأقل– التصريح بآراء كانت على خلاف مراد السلطة.

ونرى أنّ أهمية علماء العربية في السياق الثقافي العربي المبكّر جعلهم في عناية السلطة، ومما يبيّنُ تلك الأهمية أمور، الأول: أنّ أقدم علماء العربية كانوا رواة القرآن، ويبيّن ذلك أن القراءات والعربية علمان رديفان في العهد المبكر من الحضارة الإسلامية[140]، وكان جميع مَن تُنسب له المعرفة اللغوية قارئا، وقد بدأ ذلك الاقتران في المرحلة التمهيدية، وهي مرحلة أبي الأسود وتلاميذه، واستمرّ في الجيل المبكّر من النحاة (ما قبل سيبويه)، ومن أعلامه ابنُ أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء، ثم يأتي الجيل الثاني (ما بعد سيبويه)، فيظهر النحو تخصّصا مستقلا كما هو الشأن عند الخليل وسيبويه، ولكن يظلّ نحاةٌ قرّاء مثل الكسائي، فعلماء العربية بهذا رواة للنصّ الديني المركزي في الثقافة الإسلامية، والثاني: أن علماء العربية لم يقتصروا على رواية القرآن، بل كانوا من أوائل من ألّفوا في تفسير ذلك النص الديني، فهم مِن أقدم مَن خاض في تأويل النص الديني المؤسِّس لفهم العالم والعلاقات بين الناس في الثقافة الإسلامية، ومن ذلك مؤلّفات "معاني القرآن"، وقد ألّف فيها نحو عشرين لغويا، منهم الكسائي والأخفش الأوسط والرؤاسي ويونس بن حبيب (وله كتابان صغير وكبير) والمبرد وقطرب والفراء وأبو عبيدة ومؤرّج وابن كيسان وثعلب[141]، وقد عُدّت مؤلفات "معاني القرآن" الصورة الأولى للتأليف في علم التفسير[142]، ويُضاف إليها مؤلفات "غريب القرآن"، وقد ألّف فيها نحو عشرة علماء، منهم اليزيدي وأبو عبيدة ومحمد بن سلام الجمحي ومؤرّج السدوسي وابن قتيبة[143]، ومؤلفات "لغات القرآن"، وقد ألّف فيها نحو ستة علماء، ومنهم الفراء وأبو زيد والأصمعي وابن دُريد، ولم يتمّه[144]، ومؤلفات "إعراب القرآن"، وقد ألّف فيها عدد من العلماء، مثل قطرب وأبي عبيدة والمبرد وابن قتيبة[145].

ولدينا مثال لمراقبة السلطة لآراء علماء العربية منذ وقت مبكّر، ولتتبّع النخبة الحاكمة لما يمثّل خطرا أيديولوجيًّا عليها مما قد يصدر من علماء العربية، فقد اعترض الحجاجُ على النحويّ يحيى بن يعمر؛ لأنه كان يقول إن الحسن والحسين ابني عليّ من ذرية محمد (ص)، فالحجّاج أموي محض ويعرف خطورة شيوع مثل تلك المقولة في ثقافة تربط السلطة بالوراثة ويدرك خطر تلك السردية الثقافية على حكم بني أمية، وتختلف الروايات في موقف الحجّاج من ابن يعمر، فيُذكر أن الحجاج قال له: "لا تعودَن لذكر هذا ونشره"، وأنه ولاه القضاء بخراسان[146]، ويُذكر أن الحجّاج كاد يبطش به لقوله ذلك[147]، وأن الأمر انتهى بينهما بنفي ابن يعمر إلى خراسان، وفي الأمرين إبعاد ليحيى عن المركز، غير أن الثاني هو الأرجح؛ إذ لم تكن العلاقة بينهما على أحسن حال، ومن أمارات ذلك أن الحجّاج سأل يحيى عن بنائه لواسط، فردّ بجواب غير

140 - يُنظر: الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب: 110.
141 - يُنظر: النديم، الفهرست: 51-52،
142 - يُنظر: نصار، المعجم العربي: 42.
143 - يُنظر: النديم، الفهرست: 52-53.
144 - يُنظر: السابق: 53.
145 - يُنظر: السابق: 79، 80، 88، 116.
146 - اليغموري، نور القبس: 21-22.
147 - ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية: 126/9.

مهادن: "بنيتَها مِن غير مالك، ويسكنها غيرُ ولدك"[148]، وهو جواب لن تكون عاقبته إلا توغّر صدرِ مثلِ الحجّاج على يحيى[149].

هذا، وقد أفادت أخبار أن في النحويين مَن تعرض لامتحان أيديولوجي في غاية العَبث، فمما جاء في ترجمة يعقوب بن السكيت أنه صار من ندماء المتوكّل، وفي يومٍ مرّ ابناه المعتز والمؤيّد، فسأله المتوكّل: مَن أحبّ إليك: ابناي هذان، أم الحسن والحسين؟ فغضّ من ابنيه، وذكر الحسن والحسين بما هما أهلُه، وقد كانت العاقبة أن لقي هذا العالم حتفه مِن غضبة ذي سلطان[150]، وجاء في روايات أن ابن السكيت لم يقتصر على التفضيل، بل بلغ الغضَّ مِن ابني المتوكل، وفضّل خادمًا لعليّ بن أبي طالب عليهما، فقال: "قَنبَر خير منهما"[151]، "قَنبَر خادم عليّ أحبّ إليّ من ابنيك"[152]، وأُتبعت الرواية الأخيرة بوصف مذهبه "وكان يعقوب يتشيّع"، ثم تكون النهاية أن وجّه المتوكل إلى ابن يعقوب عشرة آلاف درهم[153]، وفي رواية أنه وجّه إلى أمّه ديّته[154].

ونرى عددا من اللغويين يبدؤون كتبهم بالكلام على مكانة السلطان وحقّه، فعلى سبيل المثال يجعل ابنُ قتيبة أول فصل في كتابه "عيون الأخبار" بعنوان "كتاب السلطان"، فيذكر فيه أهمية السلطان للناس، ولا يكتفي فيه بنقل الآثار الإسلامية في هذا المجال، بل ينقل حِكَما مِن الفرس واليونان والهند[155]، وعلى النحو نفسه يجعل ابن عبد ربه أول فصل في كتابه "العقد الفريد" بعنوان "كتاب اللؤلؤة في السلطان"، ويذكر فيه الآثار المعروفة مثل قول الحكماء "إمام عادل، خير مِن مطر وابل، وإمام غشوم، خير مِن فتنة تدوم"[156] وأنه "مِن شأن الرعية قلّة الرضى عن الأئمة وتحجّر العذر عليهم وإلزام اللائمة لهم، وربَّ ملومٍ لا ذنب له"[157].

وكل ما سبق يجعلنا لا نستبعد أنّ في علماء العربية القريبين من البلاط السلطاني مَن كان إمّا مندمجا في الأيديولوجيا التي اختارتها السلطة لنفسها، وإمّا غير مناوئ لها، ومثله أيضا أن مؤلفات العربية القريبة من السلطة كانت مشمولة بأيديولوجيا الحكم أو مهادنة لتلك الأيديولوجيا، وإن كانت تفاصيل مثل هذا الاحتمال العام تحتاج إلى دراسة متخصّصة دقيقة للوقوف على صُوره.

نتائج البحث:

1- كانت المهنة الأساسية عند أصحاب العربية العمل في التأديب العام والخاص، وقد اشتغل عدد من أصحاب العربية بالتأديب العام، وكان أكابر العلماء أكثر حظّا، فاشتغل كثير منهم بالتأديب الخاص، وربما بدأ أحدهم بالاشتغال بالتأديب العام ثم ارتقى إلى التأديب الخاص، وقضية التأديب متكرّرة في تراجم النحاة واللغويين، حتى إن فيهم مَن تغلب عليه الجهالة في كتب طبقات

148 - يُنظر: السيوطي، بغية الوعاة: 345/2.

149 - ويُذكر عادة في سبب نفي الحجاج ليحيى قصة مشهورة مفادها أن الثاني أبان للأول عن لحن له في القرآن (يُنظر مثلا: السيرافي، أخبار النحويين البصريين: 18-19، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين:28)، وتلك ذريعة واهية لا يُطمأنّ إليها، لا سيما إذا عُرف أن الحجاج كان هو السائلَ ليحيى إن كان يلحن، وهو الذي ألحّ وعزم على يحيى بالجواب بعد محاولته تحاشيه، فأمثال هذه الأمور مما تدعو السلطان ومَن في مقامه إلى نفي عالم.

150 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 202.

151 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 203-204، القفطي، إنباه الرواة: 59/4.

152 - ياقوت، معجم الأدباء: 2841/6.

153 - يُنظر: القفطي، إنباه الرواة: 59/4.

154 - يُنظر: السيوطي، بغية الوعاة: 345/2.

155 - يُنظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: 53/1 وما بعدها.

156 - ابن عبد ربه، العقد الفريد: 9/1.

157 - السابق: 10/1.

النحاة، ولكن يُذكر في ترجمته المقتضبة أنه كان يشتغل بالتأديب.

2- قُربُ أصحابِ العربية مِن النخبة الحاكمة أمكنهم مِن وجوه من التكسّب ونيل العطايا، وقد ارتبط ذلك بالتأليف، فمن ذلك تأليف العالم في موضوع معين استجابة لطلبهم، أو إهداء العالم مؤلفه لهم، أو تسمية العالم مؤلّفه بأسمائهم، ومن وجوه تكسّبهم أيضا نيلهم العطايا لأمور أخرى، فمن ذلك جواب العالم على سؤال علميّ لأصحاب المراتب، أو تناظر العلماء أمامهم، أو صدور جواب نبيه من العالم، أو قبول العالم لمسامرتهم، أو حكاية العالم خبرا نال إعجابهم.

3- كان لتكسّب أصحاب العربية من العلم ولتنافسهم بالقرب مِن أصحاب المراتب آثار سلبية، ومنها الاختلاق وعدم انتهاء العالم إلى ما سمع، وتعقيد المؤلفات بغرض عودة الناس إليهم، ثم النوال على ذلك، والمكابرة وعدم الانصياع للحق في المناظرات بين العلماء، ومن أخطر السلبيات التعصّب بين أصحاب المدينتين، مما أدّى إلى إظهار الخلاف النحوي في صورة ثنائية بين البصريين والكوفيين، مع أن الخلاف كان أعمّ من ذلك، ثم يأتي أثر سلبي خفيّ يتعلق بوجود كثير من علماء العربية قريبا من السلطة، واحتمال أن يكون أولئك العلماء مندمجين في أيديولوجيا السلطة الحاكمة أو مهادنين لها، لا سيما أن علماء العربية كانوا أول مَن خاض في الصورة الأولى لمؤلفات تفسير القرآن، والقرآن نص لغوي يمثل عماد رؤية العالم في الثقافة العربية الإسلامية.

المراجع[158]

[1] الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد)

- **الأغاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994م، ط1.

[2] الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد)

- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، 1985، ط3.

[3] البخاري (محمد بن إسماعيل)

- **الجامع المسند الصحيح المختصر مِن أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ، ط1.

[4] البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت الخطيب)

- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1989م، (د.ط).

[5] التنوخي (المفضل بن محمد بن مسعر)

- **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1992م، ط2.

[6] الجاحظ (عمرو بن بحر)

- **البخلاء**، تحقيق: د. طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، 1990م، ط5.
- **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م، ط7.
- **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1996م، ط2.

158 ـ رُتّب المؤلفون ألفبائيا ولم تحتسب "ابن" و"أبو" و"ال" التعريف في ذلك.

- **رسائل الجاحظ**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م، (د.ط).

[7] الحاج صالح (د. رشيد)

- **الوجه السياسي للعلم**، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، 2014، ط1.

[8] الحاج صالح (د. عبد الرحمن)

- **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة**، موفم للنشر، الجزائر، 2012م، (د.ط).
- **منطق العرب في علوم اللسان**، موفم للنشر، الجزائر، 2012م، (د.ط).

[9] الحلواني (د. محمد خير)

- **الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف**، دار القلم العربي، حلب، 1972م، ط1.

[10] الحموي (ياقوت بن عبد الله)

- **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ط1.

[11] ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم)

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق، د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (كل مجلد له سنة طباعة).

[12] ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن)

- **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ط1.

[13] الدلابيح (محمد فضل ثلجي)

- **دراسة لبعض المسائل النحوية الخلافية في كتاب سيبويه**، مجلة الصوتيات، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سعد دحلب، الجزائر، العدد التاسع، يناير، 2011م.

[14] الذهبي (محمد بن أحمد)

- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ط1.

[15] راهي (د. مجيد خير الله)

- **ما اختلف فيه الخليل وسيبويه من مسائل التصريف**، مجلة كلية التربية، كلية التربية–جامعة واسط، العراق، العدد: 4، يونيو، 2018م.

[16] الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي)

- **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973م، ط2.

[17] سحنون (محمد)

- **آداب المعلمين**، تحقيق: د. محمد عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ط2.

[18] السيرافي (الحسن بن عبد الله بن المرزبان)

- **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحلبي، القاهرة، 1955م، ط1.

[19] السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964م، ط1.
- **المتوكلي فيما في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية**، مطبعة الترقي، دمشق، 1348هـ، (د.ط).

[20] شهيدي (خديجة)

- **مسائل خلافية بين الخليل ويونس في كتاب سيبويه**، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقائد، الجزائر، 2020م.

[21] الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)

- **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، (د.ط).

[22] أبو الطيب (عبد الواحد بن علي)

- **مراتب النحويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م، (د.ط).

[23] العايد (د. سليمان بن إبراهيم)

- **المؤدبون وتجربتهم في تعليم العربية**، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلد: 1، العدد: 1، مايو – يوليو، 1999م.

[24] ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه)

- **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ، ط1.

[25] العبسي (د. خالد عبد الحليم)

- **أعراب الرواية اللغوية وتثقيف السليقة**، مجلة الجامعة الوطنية، جامعة صنعاء، العدد: 8، يونيو 2019م.
- **بنية القاعدة النحوية في تصوّرات مؤلفات "أصول النحو"**، مجلة الآداب، جامعة ذمار، العدد: 10، مارس 2019م.
- **الأسس العامة للسانيات – في اللسانيات التمهيدية الموجّهة إلى القارئ العربي**، مجلة أبحاث، كلية التربية، جامعة الحديدة، المجلد: 9، العدد: 2، يونيو، 2022م.

[26] ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله)

- **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها مِن الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م، ط1.

[27] العواجي (د. حسين بن هادي)

- **مؤدّبو أولاد الخلفاء وأثرهم في العصر الأموي 41هـ–132هـ**، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، الجزء:1، العدد: 46، 2022م.

[28] غوريفتش (جورج)

- **الأطر الاجتماعية للمعرفة**، ترجمة: د. خليل أحمد خليل، مجد – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008، ط3.

[29] ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس)

- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العربية في كلامها**، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ط1.

[30] الفراء (يحيى بن زياد بن عبد الله)

- **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م، ط2.

[31] القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي)

- **الأمالي**، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

[32] ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري)

- **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية مصر، 1963م، ط4.
- **عيون الأخبار**، تحقيق: منذر أبو شعر، المكتب الإسلامي، بيروت–عمان، 2008م، ط1.

[33] القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)

- **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م، ط2.

[34] قمبر (د. محمود مصطفى)

- المؤدّبون وصنعة التأديب–دراسة في التراث التربوي الإسلامي، حولية كلية التربية–جامعة قطر، السنة: 4، العدد: 4، 1985م.

[35] ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير)

- **البداية والنهاية**، دار الفكر، بيروت، 1986م، (د.ط).

[36] المبرد (محمد بن يزيد)

- **البلاغة**، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1985م، ط2.

[37] مسلم (مسلم بن الحجاج)

- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صحيح مسلم)**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، 1991م، ط1.

[38] ابن المعتز (عبد الله بن محمد)

- **طبقات الشعراء**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ط3.

[39] القفطي (أبو الحسن علي بن يوسف أبو الحسن)

- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، 1982م، ط1.

[40] المرزباني (محمد بن عمران)

- **معجم الشعراء**، بتصحيح وتعليق: ف. كرنكو، مكتبة القدسي، القاهرة 1982م، ط2.

[41] المقرئ (أبو طاهر، عبد الواحد بن عمر)

- **أخبار النحويين**، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1989م، ط1.

[42] المراكشي (عبد الواحد بن علي)

- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ط1.

[43] نالينو (كارلو)

- **تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية**، دار المعارف، 1970م، القاهرة، ط2.

[44]النديم (محمد بن إسحاق بن محمد)

- **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، 1997م، ط2.

[45] نصّار (د. حسين)

- **المعجم العربي–نشأته وتطوّره**، دار مصر للطباعة، 1988م، (د.ط).

[46] اليغموري (أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود)

- **نور القبس المختصر من المقتبس**، تحقيق: رودلف زلهايم، نشر: فرانتس شتاينر، فيسبادن، 1964م.

التأليف الجماعي

[1] بوهاس، جيوم، كولوغلي

- **التراث اللغوي العربي**، ترجمة: د. كمال شاهين ود. محمد حسن عبد العزيز، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، (ط1).